الامتيازات الأجنبية فى الدولة العثمانية دعامة للنشاط التبشيرى فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

الدكتور
سلطان فالح متعب الأصقه

الامتيازات الأجنبية فى الدولة العثمانية دعامة للنشاط التبشيرى فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر

نقصد بالامتيازات الأجنبية فى الدولة العثمانية تلك "المعاهدات المتضمنة المبادئ القانونية لإقامة المستأمنين من رعايا الدول الأجنبية فى ممتلكات الدولة العثمانية، ولممارسة نشاطهم التجارى المشروع فيها، وتقرير حق رعايا الدولة العثمانية المقيمين فى أراضى تلك الدول وسريان هذه المبادئ عليهم"[1]. والمستأمنون هم التجار الأجانب من غير المسلمين الذين سمح لهم بالإقامة فى الإمبراطورية العثمانية، واعترفت الدولة بهم كطوائف أو ملل مستقلة تطبق شرائعها الخاصة. ولما كان هؤلاء التجار الأجانب ليسوا من رعايا السلطان العثمانى فقد منحوا فرمانًا بالأمان، يسمى "عهد الأمان"[2] حاولت الدولة من خلاله تنظيم طوائف أولئك التجار، مع مزايا خاصة تتعلق بالضرائب والرسوم الجمركية، وبموجبها قررت الدولة امتيازات خاصة – فى عهد سليم الأول 1512م–1520م – لرعايا جمهورية البندقية[3]، أما الأسباب المباشرة لهذه المعاهدة، فقد كانت اقتصادية الهدف منها

(1) عبد العزيز الشناوى "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها" ج2– ط (بلا) – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة –2004م – ص40.

(2) ساطع الحصرى "البلاد العربية والدولة العثمانية" – دار العلم للملايين – بيروت – ط3 – 1965م – ص143. والشناوى – نفس المرجع.

(3) انظر: محمد فريد بك "تاريخ الدولة العلية العثمانية" تحقيق إحسان حقى – دار النفائس – بيروت – ط 1988م – 202.

محاولة الدولة العثمانية إعادة النشاط التجارى للبحر المتوسط، بعد الدوران حول رأس الرجاء الصالح بواسطة البرتغاليين[4].

على أن "الامتيازات الأجنبية" اتخذت شكلاً خاصًا بها، وذلك بعد توقيع اتفاقية تجارة وصداقة أبرمت سنة 942هـ، 1535م بين السلطان العثمانى سليمان القانونى، وفرانسوا الأول ملك فرنسا، وقد صيغت تلك الاتفاقية فى ستة عشر بندًا[5] تم التوصل بموجبها إلى اتفاق بين الباب العالى وسفير فرنسا فى الآستانة آنذاك المسيو جان دى لافين على منح بعض الامتيازات لرعايا فرنسا كالحرية الدينية وبعض التسهيلات التجارية لهم فى أراضى الدولة العثمانية[6]، وسميت تلك الاتفاقية منذ ذلك الوقت بـ "نظام الامتيازات الأجنبية"[7].

وبذلك أصبحت فرنسا الدولة الأوروبية الوحيدة الحائزة على مثل هذه الامتيازات[8]، والتى أتاحت لها تحقيق مصالح تجارية وسياسية وقضائية - لا سيما فى بلاد الشام - لم تكن لتحلم بها أية دولة أوروبية، ولذلك قال الأمير شكيب أرسلان: "ثم أخذ فرنسيس الأول [فرانسوا الأول ملك فرنسا] يجتهد فى إقناع شعبه؛ بأن تقربه إلى العثمانيين يكون وسيلة لنشر نفوذ فرنسا فى الشرق، ومحافظتها على المسيحيين الذين هناك، وقد حصل بالفعل على امتيازات عديدة للفرنسيين، بموجب الخط الشريف السلطانى ... فإن السلطان سمح للفرنسيين والكتالان [نسبة إلى كتالونية، وهى إقليم شمال شرق أسبانيا] أن يجولوا

---

(4) على حسون "تاريخ الدولة العثمانية" المكتب الإسلامى - بيروت - ط 1403هـ - 1983م - ص66.

(5) يمكن الرجوع إلى نص الاتفاقية عند Hurewitz, J.C: "Diplomacy In The Near and Middle East". Dicumentary Records (1535-1914) vol.1. (U.S.A.) p1-3.

(6) Parry. V. J: "A History of thee Ottoman Empire". Cambridge University Press, Cambridge. London. P. 86.

(7) أحمد عبد الرحيم مصطفى "فى أصول التاريخ العثماني" ط 1 - دار الشروق - بيروت - 1402هـ - 1982م - ص94.

(8) تمتعت دول كثيرة - فيما بعد المعاهدة العثمانية الفرنسية - بامتيازات عدة فى الدولة، كإنجلترا التى استفادت من الامتيازات الممنوحة لها من قبل الدولة بعد أن تشكلت شركة الليفانت الإنجليزية فى 11 سبتمبر 1581م، ثم تبعتها هولندا عام 1612م، وتبعتها دول أوروبية أخرى، انظر:
Robert Mantran, "Histoire de la Turquire". (Paris: Puf. 1975). 9. 33.

ويتجروا كما يشاؤون، وأنهم فى الخصومات التى بينهم يراجعون قناصلهم فيما عدا الدم ... وغير ذلك من الامتيازات التى تساهل فيها السلطان.. "[9].

وبذلك صارت فرنسا مكانة التجارة فى البحر الأبيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة، وأرسلت تحت مظلة هذه المعاهدات إرساليات دينية - تبشيرية - كاثوليكية عدة إلى كافة بلاد الدولة الموجود بها مسيحيون، خصوصًا بلاد الشام، لتعليم أولادهم وتربيتهم على الولاء لفرنسا، وهو أمر وضع اللبنات الأولى - وبشكل قانونى ورسمى - للوصاية الفرنسية على مسيحيى بلاد الشام[10].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن كثيرًا من هذه الامتيازات قد منحت فى فترة بلغت فيها قوة الدولة العثمانية أوجها، كالامتيازات التى أعطاها السلطان سليمان القانونى لحكومة فرنسا ورعاياها ومن يحتمى بها [11]. حتى إن الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935م) - صاحب مجلة المنار - كان متحيزًا فى تبرير ذلك، حين لم يجد مبررات معقولة تدفع السلطنة لأن تمنح الدول الأوروبية كل هذه الامتيازات دون أن تطالب بمثلها، فتراه يؤكد على أن "الدولة العلية لم تمنح الأجانب الامتيازات مضطرة لأنها كانت وقتئذٍ فى عنفوان دولتها ... وثانيًا: لأن الدول المسيحية لم تطلب منها تلك الامتيازات بصوتٍ واحدٍ، ولا توعدتها بحشد الجيوش ومعاملتها بالقوة والإكراه إن هى لم تعطها ما طلبت عنوة، فالسلاطين لم يفعلوا ما فعلوا إكراهًا، بل عن طيب نفس وخاطر"[12]. فمن الغريب جدًا أن تعقد

(9) الأمير شكيب أرسلان "تاريخ الدولة العثمانية" جمع وإعداد حسن السماحي- ط 1 - دار ابن كثير - بيروت - ط 1 - 1422هـ 2001م - ص154.

(10) هاملتون جب وزميله "المجتمع الإسلامى والغرب" ج2 - ترجمة: عبد المجيد القيسى - ط1 - دار المدى - دمشق - 1997م - ص281 و287.

(11) يسوق بعض الدارسين مبررات لتلك الامتيازات، محتجًا بأن الدولة قد استفادت منها. انظر: يوسف على الثقفى بحث بعنوان "معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام 941هـ - 1535م" نشر: مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - عدد6 - سنة6 - 1403هـ. وهى وجهة نظر مهمة جدًا، وطرح له حججه ودلائله التى استقى منها معلومات الدراسة.

(12) رشيد رضا: "امتيازات الأجانب فى الدولة العثمانية كانت اختيارية" - المنار - عدد 42 - مجلد 1 - القاهرة - ص841.

الدولة العثمانية وهى فى أوج قوتها وعظمتها، معاهدة مع دول الغرب بمثل هذا التسامح[13]، الذى أدى إلى تدخل هذه الدول تدخلاً مؤذيًا فى الدولة العثمانية.

وكانت السلطنة على اعتزازها بنفسها، كريمة فى عقد هذه المعاهدات، ومنح هذه الامتيازات دون نظر إلى المستقبل البعيد ... ولكن السلطنة فيما بعد وجدت نفسها أمام معاهدات وامتيازات كانت قد تقيدت بها إبان قوتها السابقة ثم تحولت إلى سلاسل طوقت عنقها ويديها، وجدت نفسها أنها ليست عاجزة عن التخلص منها فحسب بل ما إن ضعفت عزائمها، واسترخت قواها، حتى فرضت عليها الدول الأوروبية معاهدات وامتيازات أخرى أثقل من سابقاتها، وأشد تقييدًا لحريتها[14]، حين أخذت الدول الأوروبية فى الحصول على الامتيازات الأجنبية والمعاهدات الطائفية التى تخول لكل دولة مسيحية حماية أتباع مذهبها فى أراضى الدولة[15]، فكانت الدول الأوروبية الكبرى – لاسيما فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلاد ببلاد الشام ولا شك – لا تنفك عن التدخل فى شؤون الدولة العثمانية بطرقٍ وأساليب مختلفة، وذلك استنادًا إلى الامتيازات الأجنبية ... فصارت تلك الدول الكبرى تعتبر تلك الامتيازات بمثابة حقوق مكتسبة لها ولرعاياها، وحتى لكل من تشملهم بنعمة حمايتها من تبعة الدولة نفسها[16].

وبناءً على هذه الامتيازات، ما كان يحق لسلطات الأمن والعدل أن تفتش مسكن أحد من هؤلاء الأجانب لأى سبب كان، ولا أن تحقق معه أو تحاكمه؛ إلا بحضور ممثل عن قنصلية الدولة التى ينتسب إليها. ثم إن السلطات العثمانية لم تكن تستطيع ولوج بيت رجل أجنبى مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة ارتكبت فى ذلك البيت، لما كان للسلطة

---

(13) هذا ما قاله إحسان حقى معلقًا على تلك الامتيازات فى تحقيقه لكتاب محمد فريد بك "تاريخ الدولة العلية العثمانية" فى هامش ص 229–230 – سبق ذكره.

(14) محمد جميل بيهم، "فلسفة التاريخ العثماني" – ط3 – فرج الله للمطبوعات – بيروت –1373–1954 م – ص88.

وانظر أيضًا رسالة الماجستير المقدمة لجامعة أم القرى – مكة المكرمة، من قبل الباحث: على بخيت الزهرانى، بعنوان: "الانحرافات العقدية والعلمية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين آثارهما فى حياة الأمة" الجزء الثانى – ط2 – نشر دار طيبة – الرياض –1998م – ص118–125.

(15) بلاد الشام فى القرن التاسع عشر (من مذكرات الحسيبى الدمشقى) تحقيق سهيل زكار – ط1 – دار حسان – دمشق –1402هـ 1982م ص285.

(16) ساطع الحصرى – مرجع سابق – ص142.

العثمانية أن تدخل للتحقيق، بل كان الذى يقوم بالتحقيق والمحاكمة والفصل قنصل الرجل الذى يسكن ذلك البيت[17].

وكان أكثر المستفيدين من تلك الامتيازات هم مسيحيو الشام - سوريا ولبنان - خاصةً بعد وقوع حوادث الستين 1276هـ - 1860م[18]، وكان أكثرهم تحت حماية فرنسا، فإذا حصل أن وقعت خصومة بين مسلمى ومسيحى سورية [19]فقد كان المسيحى يلجأ إلى القنصلية الأجنبية التى تتبعها طائفته المسيحية[20]، والتى كانت تستظل بحماية قنصليات الدول الأجنبية، فكان الخاسر هو المسلم، والمحق هو المسيحى - سواء أكان أجنبيًا أم شاميًا - وهو الذى يستأهل الوقوف إلى جانبه، وأخذ حقه، وإن كان غصبًا[21].

ولقد سبب هؤلاء القناصل - المتمتعين بامتيازات الأجانب - لإدارة ولاية سوريا ارتباكًا؛ عن طريق بث الدسائس بين الحكم والطوائف[22]، فقد كانت القنصليات الأجنبية فى ولاية سوريا أوكار دسٍّ وتآمر على الحكم العثمانى، والعمل على إثارة الاضطرابات عن طريق تحريض الطوائف - المسيحية - على الثورة والعصيان والوقوف إلى جانبها ... ولا يخلو تقرير من تقارير ولاة دمشق - التى اعتادوا أن يرفعوها إلى الباب العالى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - من شكوى مريرة من دسائس القناصل الأجانب[23].

---

(17) مصطفى خالدى وعمر فروخ "التبشير والاستعمار فى البلاد العربية " المكتبة العصرية - بيروت - ط 1995م - ص132.

(18) سميت بذلك لوقوعها سنة 1860م، وتعود أسبابها - أو بعضًا من أسبابها - إلى ما كان يتمتع به المسيحيون فى الشام من امتيازات فى ظل حماية الدول الأوروبية الكبرى. وابتدأت شرارتها بنزاع بين المسيحيين والدروز فى جبل لبنان، ثم شملت سوريا، وشارك فيها المسلمون إلى جانب الدروز ضد المسيحيين. وحدثت بعض مذابح من كلا الفريقين. انظر: محمد ترحينى "الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي" - ط1 - دار الآفاق - بيروت -1981م- ص109-124.

(19) اسم سورية -قبل التقسيم المحدث-يشمل سوريا وجبل لبنان وما جاورها.

(20) وطوائف المسيحيين فى الشام متعددة ومتشاكسة أحيانًا، وكل طائفة تتبع دولة غربية تظلها بحمايتها.فالأرثوذكس تبع لروسيا، والكاثوليك والموارنة تبع لفرنسا،والبروتستانت تبع لقناصل إنجلترا وأمريكا.

(21) "بلاد الشام فى القرن التاسع عشر" ص285-286- سبق ذكره.

(22) سعيد سفر الغامدي، "موقف المعارضة فى المشرق العربى من حكم السلطان عبد الحميد الثانى (الشام ومصر)" - ط1 - مكتبة التوبة - الرياض - 1413هـ 1992م - ص45.

(23) عبد العزيز محمد عوض، "الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا 1864-1914م" دار المعارف - مصر - ط 1969م - ص323و327.

ولما كانت الدولة تحرص - فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر- على عدم إثارة متاعب مع الدول الأوروبية، لذلك كانت تطلب من ولاتها أن يعاملوا قناصل الدول الأجنبية معاملة ودية. ولذلك تمتع قناصل الدول الكبرى - لا سيما قناصل إنجلترا - بنفوذٍ كبير فى دمشق بشكل خاص، وفى الدولة العثمانية بشكل عام[24].

لقد كانت الامتيازات الأجنبية مرحلة ذهبية، وفرصة نادرة لا تقدر بثمن - خاصة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر - منحتها الدولة العثمانية لدول أوروبا، وقطفت ثمار تلك الامتيازات بالدرجة الأولى الإرساليات التبشيرية ومدارسها.

على أن هناك بعضًا من الباحثين والدارسين، ممن رصدوا موضوع سهولة ويسر الأمر للإرساليات التبشيرية فى بلاد الشام فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، يرى وجهة غير هذه الوجهة، فهذا جورج أنطونيوس يرى أن الأمر تهيأ للإرساليات بفضل تسامح إبراهيم باشا إبان الحكم المصرى لبلاد الشام (1831-1841م)[25] فيقول ما نصه: "كان من نتائج التسامح الذى تميز به حكم إبراهيم نتيجة لم تخطر على البال من قبل؛ فقد فتح هذا الباب أمام البعثات التبشيرية الغربية، وبذلك أتاح العمل لقوتين: أحدهما فرنسية، والأخرى أمريكية "[26]. " ففتح المجال بذلك أمام

---

(24) المرجع السابق، ص330.

(25) تكلم المؤرخ كامل البالى الحلبى الغزى عن فترة حكم إبراهيم باشا لبلاد الشام ووصف الحال التى كانت عليها الحياة بين أهل الشام آنذاك بعد عملية التسوية الدينية بين أهلها، فقال: "أن بطريرك الروم مكسيوس مظلوم فى حلب، كان يدور أحيانًا فى شوارع حلب وهو راكب بأبهةٍ زائدة وموكبٍ حافل، ويتلقى منه مسلميها ذلك كإرغام لهم وتعالٍ عليهم، قاصدًا إهانتهم" انظر: كامل البالى الحلبى الغزى "نهر الذهب فى تاريخ حلب" ج2 - تحقيق: شوقى شعث ومحمود فاخورى ط2 - دار القلم العربى - حلب - 1412هـ 1991م - ص287.

(26) جورج أنطونيوس "يقظة العرب" ترجمة إحسان عباس وناصر الدين الأسد - ط8 - دار العلم للملايين - بيروت - 1987م - ص97. وعن حكم إبراهيم باشا للشام وتسامحه وتسويته بين أديان أهليها، يقول الرحالة الإنجليزى كنغليك: "كانت دمشق قد بلغت الذروة فى كره المسيحيين" وبسبب حكم إبراهيم باشا المتسامح "أصبحت دمشق العربية (بالنسبة للأجانب المسيحيين) آمن من أكسفورد الإنجليزية"، هذا ما يقوله ذلك الإنجليزى بالنسبة للمسيحيين الغربيين، فما بالك بأهل الشام من المسيحيين.. انظر: "رحلة كنغليك إلى الشرق" ترجمة محمود العابدى - نشر جمعية أعمال المطابع التعاونية - عمّان - ط 1971م - ص123.

البعثات التبشيرية الأجنبية، فتقاطر المبشرون على بيروت، ومنها انطلقوا إلى جميع أنحاء الشام "[27].

على أن هناك من يرد هذا الاستنتاج، أو على الأقل أعطاه حجمه الطبيعى، ولم يبالغ فى إعطاء حكم إبراهيم باشا أكثر مما يستحق، ورجح أن تكون الامتيازات قد لعبت الدور الأساسى فى تذليل العقبات أمام إرساليات التبشير فى بلاد الشام[28]، ولعل مما يجعل لهذا الرأى عبارة وأهمية، أن الإرساليات والمدارس التبشيرية – واقعيًا – ما كانت لتحلم أن تنفرد بالعمل التبشيرى فى بلاد الشام بكل حرية واطمئنان لولا تلك الامتيازات الماسة بسيادة الدولة العثمانية – خاصة فى الفترة التى هى موضوع بحثنا –، وكما يقول البعض عن تلك الامتيازات التى أعطيت لفرنسا – ومن جاء بعدها من دول أوروبا الأخرى – كانت أول إسفين يدق فى نعش الدولة العثمانية[29].

لقد سمحت تلك الامتيازات للنشاط التبشيرى أن ينطلق كمًا وكيفًا فى بلاد الشام، أما كمًا فبانتشار هيئاته وإرسالياته ومدارسه فى مدن الشام وقراها – وسائر مدن وأقاليم الدولة –، وأما كيفًا فباستخدامه ما راق له من الوسائل، وما عَنَّ له من الأساليب بعيدًا عن أعين الرقباء، أو حتى عن طائلة القانون[30]. ففى مؤتمر لكنؤ التبشيرى فى الهند عام

(27) أنطونيوس – المصدر السابق – ص99. وانساق وراء هذا الرأى كثير من الكتاب والدارسين ممن وسموا كتاباتهم بـ: تاريخ العرب الحديث، أو المعاصر، وتاريخ المشرق العربى الحديث، وجعلوا اعتمادهم على رأى جورج أنطونيوس، وسيأتى تبيان الرد على رأيه هذا.

(28) انظر الدلائل والقرائن التى طرحها قيس جواد العزاوى فى دراسته المعنونة بـ "الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط" –ط1 – الدار العربية للعلوم – بيروت 1414هـ–1994م – ص21 –25، وهى دراسة تتسم بالاتزان والمناقشة الهادئة.

(29) زكريا سليمان بيومى "قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين – التحالف الصليبى الماسونى وضرب الاتجاه الإسلامي" – ط1 – عالم المعرفة – جدة– 1411هـ–1991م – ص77–78. وانظر: ثريا شاهين "دور الكنيسة فى هدم الدولة العثمانية"– ط1 – ترجمة: محمد حرب – دار المنارة – جدة – 1418– 1997م – ص14–15، وهو فى الأصل فصل من رسالة علمية تقدم بها الكاتب "ثريا شاهين" لنيل درجة الدكتوراه من جامعة استنبول عام 1978م، ولأهمية هذا الفصل، قام محمد حرب بترجمته وإفراده بكتاب..

(30) انظر: ثريا شاهين – المرجع السابق – ص27. وعلى حسون – مرجع سابق – ص124. وعلى الزهرانى – مرجع سابق – ج2– ص310.

1911م، قال القسيس تروبريدج: "إن المبشرين كانوا منذ ابتداء أعمالهم التبشيرية قبل ثمانين سنة، مظهرًا لتسامح الحكومة العثمانية، كما هو شأنها مع الرعايا الأجانب الذين تحميهم الامتيازات الأجنبية"[31].

ولما اتسع نفوذ المبشرين الأمريكيين فى الإمبراطورية العثمانية فى تلك الفترة، وكثر تدخلهم فى شؤون الدولة، عزمت على إخراجهم من الإمبراطورية كلها، ولكن وزير خارجية أمريكا عارض اتخاذ تركيا مثل هذه الخطوة، أى أن الولايات المتحدة أثارت مشاكل كبيرة للدولة العثمانية صرفتها عن أمر المبشرين، ولذلك ظل المبشرون الأمريكيون يتمتعون بحقوق الرعايا الأمريكيين فى الإمبراطورية العثمانية، كما تنص معاهدة الامتيازات الأجنبية[32].

ولم تعترض الدولة العثمانية على الإرساليات التبشيرية الأمريكية – عند بداية قدومها إلى بلاد الشام – مما شجع أحد القسس الأمريكيون فى (1820م) على إرسال تقرير – من موقعه فى الدول العثمانية – إلى المجلس الأمريكى يقول فيه: "بأنه يمكن للمبشرين أن يقيموا فى أى مكان بالدولة العثمانية دون أية بادرة تدخل من جانب الحكومة"[33].

ولم يحل النصف الثانى من القرن التاسع عشر إلا وكانت بلاد الشام تعج بالإرساليات التبشيرية على أراضيها، بأنواع كثيرة، كالفرنسيين والإنجليز والأمريكيين والروس ... وكان البيت الذى يسكنه رجل فرنسى أو إنجليزى، كان يعتبر جزءًا من إنجلترا أو فرنسا[34].

وكان عمل المبشرين غير مقتصر على الجانب الدينى، بل اتخذ ميادين أخرى لكسب المزيد من مسيحيى الشام.. ومن أبرز هذه الميادين: التعليم، ذلك أن المبشرين قد أدركوا ما تحتاج إليه بلاد الشام – قبل كل شىء – وهو نظام تعليمى يلائم تراثها[35]. فقد كان

---

(31) أ. ل. شاتليه "الغارة على العالم الإسلامي" – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى – ط4 – الدار العربية للنشر والتوزيع – جدة – 1405هـ 1985م – ص108.

(32) خالد وزميله – مرجع سابق – ص54.

(33) سلوى الغالبى "العلاقات العثمانية الأمريكية 1830–1918م" ط1 – مكتبة مدبولى – القاهرة – 2002م – ص248.

(34) خالدى وزميله – مرجع سابق – ص132.

(35) جورج أنطونيوس – مصدر سابق – ص105.

المبشرون جادين فى افتتاح المدارس فى أنحاء متعددة من بلاد الشام[36]، وما ذلك الجد والاهتمام بالتعليم فى بلاد الشام إلا لما يؤتيه من أثر عاجل لمهمتهم التبشيرية هناك.. ويؤكد المستر بنروز[37] على هذا الأمر قائلاً: "لقد أدى البرهان على أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون فى سعيهم لتنصير سوريا ولبنان.. ومن أجل ذلك تقرر أن يُخْتارَ رئيس الكلية البروتستانتية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) من مبشرى الإرسالية السورية[38]".

ويتجلى صدق هذا الأمر فى طرح المبشر هنرى جسب[39] حين قال: "لقد كانت المدارس شرط أساسى لنجاح التبشير ... لقد كانت هذه المدارس تسمى بالإضافة إلى التبشير بـ: (دق الإسفين[40]) وكانت على الحقيقة كذلك[41]".

وبين هنرى جسب غاية ما يسعى إليه التعليم التبشيرى فى بلاد الشام، قائلاً: "إن التعليم فى مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية: هى قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادًا مسيحيين، وشعوبًا مسيحية[42].." وكما يقول أحد المؤرخين الغربيين: بأن "المبشر لا ينشر المذهب المسيحى فحسب، وإنما الحضارة الأوروبية بروح مسيحية[43]". فكان من بين الأهداف التى سعت الهيئات التبشيرية فى بلاد الشام، العمل على توجيه الولاء الفكرى لقطاعٍ كبير من شباب الشام الجدد نحو الثقافات الأوروبية المختلفة[44].

---

(36) نفس المصدر – 106.

(37) مبشر أمريكى، تولى رئاسة الجامعة الأمريكية بيروت فى منتصف القرن العشرين.

(38) خالدى وزميله – مرجع سابق – ص67.

(39) قس أمريكى، عمل فى التبشير ببلاد الشام مدة، وعمل فى صحيفة النشرة الأسبوعية وتولى إدارتها.. له ترجمة مقتضبة عند: الفيكونت فيليب دى طرازى "تاريخ الصحافة العربية" ج2 – ط(بلا) – المطبعة الأدبية – بيروت – 1913م – ص20.

(40) يقال: دق بينهم إسفينًا، أى فرق بينهم. انظر: "المعجم الوجيز" – ط (بلا) – مجمع اللغة العربية – القاهرة – 1411هـ–1990م – ص17.

(41) انظر: مصطفى خالدى وزميله – مرجع سابق – ص67.

(42) نفس المرجع – ص66.

(43) بيير رونوفن "التوسع الأوروبى فى العالم أشكاله وطرقه 1869–1914م" تعريب: نور الدين حاطوم – ط1 – دار الفكر – دمشق 1997م – ص185.

(44) جورج أنطونيوس – مصدر سابق – ص165

وكان أن أصبح مسيحيو الشام أكثر انفتاحًا من غيرهم على الغرب، وأكثر تقبلاً لأفكاره وطرق عيشه، وفشت فى الأسر المسيحية العادات وفنون المعيشة الغربية – ما يسمى بالإتيكيت – كما فشت الرطانة بالكلمات الأجنبية – من باب الإتيكيت أيضًا !! –، وأقبل الناس خلال تلك الفترة على الأسماء الأجنبية الوافدة[45]، فكثرت الأسماء الفرنسية والإنجليزية، كـ: كلود، وجان، وماري، وجورجى، وجورج.. كما نقل الروس إلى الشام أسماء القديسين والقديسات، مثل: قسطنطين، وهيلانه، ونقولا، وإنطونيوس، وبندلي[46].

وعليه؛ يمكن اعتبارهم – مسيحيو الشام – فى بعض الأوجه جسرًا حضاريًا مرت عليه معالم النهضة الأوروبية من الغرب ناحية الشرق.. وإجمالاً؛ كان المثقفون منهم مفسرين للغرب، ومبشرين بقيمه، بل ربما اعتبروا أنفسهم بمعنى من المعانى جزءا منه[47].

وتهيأ المناخ للمبشرين لكى ينشئوا مدارسهم، وكانوا حريصين أشد الحرص على التواجد فى مواقع معينة من بلاد الشام.. وكانت مدارسهم كثيرة ومتعددة فى أسمائها وانتماءتها. فأقدم هذه المدارس فى لبنان للطائفة المارونية، وللموارنة[48] قصب السبق فى إنشاء المدارس فى لبنان من عهد بعيد، فى "إهدن"، و"صوفر"، و"بقرقاشة" فى شمال

(45) شوقى أبو خليل "بندلى الجوزى فى الميزان، عصره، حياته، آثاره" ط1 – دار الفكر – دمشق – 1413هـ–1993م – ص86.

(46) لعل أشهر من تسمى بتلك الأسماء: جورجى زيدان، وماري إلياس زيادة (والتى غيرت اسمها إلى: مى زيادة)، وبندلى الجوزى (المؤرخ المشهور)، وجورج أنطونيوس، ونقولا الترك (اللبنانى الذى عمل كاتبًا ومرشدًا لدى جنود حملة نابليون على الشام!!!)، وقسطنطين المخلصى (مؤرخ وراهب)، ولعل من يراجع كثير من تراجم الأعلام المسيحيين عند الزركلى فى كتابه "الأعلام" سيجده مكتظًا بتلك الأسماء الغربية والغريبة، المنتشرة آنذاك فى بلاد الشام.

(47) هشام شرابى "المثقفون العرب والغرب. عصر النهضة 1875–1914م" ط2 – دار النهار – بيروت – 1978م – ص30. وانظر أيضًا: محمد الهادى المطوى "أحمد فارس الشياق حياته وآثاره وآراؤه فى النهضة العربية الحديثة" ج1 – ط (بلا) – دار الغرب الإسلامى – بيروت – 1989م – ص22.

(48) الموارنة: جماعة من السريان السوريين ينتسبون إلى الراهب "مارمارون" وهم من الطوائف المهمة فى الشام. وهم يميلون إلى فرنسا بشكل واضح. انظر تفصيلاً فى "الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" ج2 – ط3 – دار الندوة العالمية – الرياض – 1418هـ – ص636–641.

لبنان... وكان أساتذة هذه المدارس – على الإجمال – من الكهنة إلا نادرًا، ناهيك بالمدارس الصغرى التى كانوا ينشؤونها فى الأديرة، ويسمونها: "أنطوش"، مثل "أنطوش جبيل"، و"انطوش زحلة"، و"أنطوش دير القمر"، وغيرها[49].

وقد سعت الرهبنات الدينية فى إنشاء مدارس كثيرة منذ مطلع القرن التاسع عشر – وزادت بشكل ملحوظ فى نصفه الثانى –، مثل مدرسة "ريفون"، ومدرسة "ماريو حنا مارون"[50]، وأكثر البعوث الدينية التبشيرية سعيًا فى إنشاء المدارس فى الفترة ما قبل فتنة الستين (1860م)، هم: الآباء اليسوعيون[51]، واللعازاريون[52]، والمبعوثون الأمريكيون، وأقدمهم العازاريون الذين أنشئوا مدرسة "عين طورة (عنطورة)" سنة 1834م ولا تزال قائمة، ثم أنشأ قس أمريكى مدرسة فى بيروت عام 1835م[53]. وفى مطلع القرن التاسع عشر الميلادى قدم إلى بلاد الشام الدكتور فانديك[54]، فأنشأ مدرسة "عبية" فى لبنان عام 1847م، بمساعدة صديقه بطرس البستاني[55]، وشرع فانديك من يومه إلى تأليف الكتب اللازمة للتدريس فى تلك المدرسة[56]. وفى نفس السنة أنشأ الآباء اليسوعيون مدرستهم فى

---

(49) جورجى زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" ج4 – ط (بلا) – مكتبة الحياة – بيروت – 1992م – ص395.

(50) نفس المصدر – ج4 – ص396.

(51) كان اليسوعيون أنشط الجمعيات التبشيرية فى بلاد الشام، وتعود صلتهم بها إلى سنة 1625م، وأسسوا مدارس عدة فى دمشق وحلب وبيروت وكانوا أكثر البعثات مضاءً وعزيمةً فى ميدان تعليم الذكور، وكان لهم مكانة مهمة فى ميدان الطباعة آنذاك. انظر: جورج انطونيوس – مصدر سابق – ص98–108.

(52) هم كاليسوعيين، كاثوليك. وأتوا إلى الشام بعد تشتت البعثات اليسوعية، وحاولوا منافسة البعثات الأمريكية البروتستانتية، وكان لهم دورًا بارزًا فى نشر التعليم، وأشهر ما قاموا به إنشاء كلية عنطورة وكلية القديس يوسف. انظر: المصدر السابق – ص98–100.

(53) جورجى زيدان – المصدر السابق – ج4 – ص396. وانظر: محمد كرد على "خطط الشام" ج4 – ط 3 – نشر مكتبة النورى – دمشق – 1403هـ–1983م – ص70.

(54) مبشر وصيدلى ثم طبيب، أمريكى، ولد فى نيويورك 1818م، أتى سوريا كمبشر، فأتقن العربية على يد الشيخ ناصيف اليازجى، وقد قام بالتدريس والتأليف.. توفى فى لبنان عام 1896. انظر ترجمة الموسوعة عند: فيليب دى طرازى – مصدر سابق – ج1 – ص144–150.

(55) مارونى لبنانى، أصبح معلمًا، ثم أضحى مترجمًا، فأمسى صحفيًا، وهو أديب أيضًا، ولد وتوفى بلبنان (1819–1883م). انظر ترجمته عند: جورجى زيدان "تراجم مشاهير المشرق فى القرن التاسع عشر" ج2 – ط (بلا) – دار مكتبة الحياة – بيروت – تاريخ النشر (بلا) – ص35–44.

(56) انظر: فيليب دى طرازى – مصدر سابق – ج1 – ص145.

غزير بلبنان ... ولم ينشئ المرسلون الأجانب المدارس الكبرى فى بيروت، إلا بعد حوادث الستين 1860م، ومهاجرة كثير من نصارى الشام إلى بيروت[57].

وكانت هناك أولويات متدرجة لدى المبشرين فى فتح وإنشاء المدارس التبشيرية فى بلاد الشام، استعجالاً للأثر، واستغلال للغرض منها. فكانوا يولون البلاد التى يكثر فيها الفقر والجهل أهمية كبرى، لأن كلاً من عاملى الجهل والفقر يتيح الفرصة أكثر لنشر التبشير[58].

ولقد أقر بتلك الحقيقة القس زويمر[59] فى مؤتمر تبشيرى أمام عدد من المبشرين قائلاً: "إننى أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية كانوا كما قلتم أحد ثلاثة؛ إما صغير لم يكن له من أهل يُعَرِّفَه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان وقد اشتد به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية "[60]. ولذلك وجد المبشرون أن استغلال الجهل بين الشعوب والأمم يتيح فرصة عظيمة للتعليم التبشيرى المسيحى[61].

وكان من أولويات التبشير فى مجال التعليم – أيضًا – التركيز على الولايات العثمانية ذات الرقع الصغيرة والبعيدة النائية، لضعف نفوذها ومعنويتها، ولذلك اهتم المبشرون الأمريكيون بـ "بلدة عبية" منذ نزولهم بسوريا؛ لأنها بمنأى عن مراقبة الحكومة المركزية ببيروت، ولأنها فى وَسَط يُسهل عليهم التبشير فهى بعيدة عن العمران السياسى، ويوجد فيها – وفيما جاورها – طوائف مختلفة[62]، ولذا كان مهمًا فى فتح المدارس وممارسة التبشير لدى الإرساليات أن تكون الأولوية للبلاد التى يكثر فيها الصراع الفكرى والتعدد الملى كبلاد الشام[63].

---

(57) جورجى زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" ج4 – ص396 – سبق ذكره.

(58) بكر عبد الله أبو زيد "المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها" ط1 – دار العاصمة – الرياض – 1421هـ–2000م – ص46.

(59) صموئيل زويمر Zweimer: رئيس إرسالية التبشير العربية فى البحرين والشرق الأوسط، كان يتولى إدارة مجلة العالم الإسلامى الإنجليزية، قدمت له الكنيسة الأمريكية دعمها الكامل. انظر: "الموسوعة الميسرة فى الأديان ...إلخ" ج2 – ص676 – سبق ذكره.

(60) نقلاً عن عبد الله التل "جذور البلاء" بيروت – ط 1970م – ص 275.

(61) خالدى وفروخ – مرجع سابق – ص70.

(62) مصطفى خالدى وزميله – مرجع سابق – ص94.

(63) بكر بو زيد – مرجع سابق – ص46. وانظر أيضًا: F.O: 424/198- Sir N. O. Conor to M. Salishburg, No, 76,26-4-1899.

ومن الأمور التى أولاها المبشرون اهتمامهم، فتح محاضن للأطفال؛ لأن سن الطفولة وما قاربها هو البيئة الخصبة لتلقيح التبشير، وسهولة التحويل، وسرعة التأثير[64]. فعلم المبشرون أن الوسيلة التى تأتى بأحسن الثمار فى التبشير، إنما هى تعليم الأولاد الصغار لأهالى الشام[65]. وما ذلك إلا لأن الطلاب الصغار فى نظرهم، فسائل شتل تغرس فيما بعد فى الكليات، فيجب أن تكون هذه الفسائل مطبوعة بطابعٍ خاص[66].

وفى هذا الوقت؛ رأى المبشرون أن الجهود الفردية فى التبشير بين أهالى الشام قليلة الجدوى، تلفتوا إلى سبل أحسن تمهيدًا وأشد تأثيرًا، فلجأوا إلى حكوماتهم. وبعد أن رضى المبشرون أن يجعلوا أنفسهم ودينهم آلة طيعةً فى يد دولهم، انتهزت هذه الدول تلك الفرصة وجعلت تساعد المبشرين، إلا أنها فى الحقيقة كانت تسعى إلى أهدافها السياسية والاقتصادية الخاصة، باستغلال المبشرين والدين[67]. ولما أدركت الدول الأوروبية أن المبشرين آلة فعالة لتأييد النفوذ الأجنبى فى الإمبراطورية العثمانية، أخذت تلك الدول تتبارى فى استخدام المبشرين[68]. والمؤلفون والكتاب عادةً لا ينكرون أن التبشير قد اتخذه الكثيرون آلة للتجارة والسياسة، وأن المبشر الأمريكى على وجه الخصوص لم يستطع أن يتحرر من نفوذ حكومته وغاياتها[69].

وعندما ظهر ضعف الدولة العثمانية أخذت الدول الأجنبية تزيد فى تظاهرها بدعم المبشرين. ولقد كان المبشرون يطلبون من دولهم أن تؤيدهم ولو كان ذلك مخالفًا للعرف الدولى، فتستجيب الدول لرغبة مبشريها تأييدًا لنفوذها السياسى والدينى معًا، فكانت تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والآخر حتى تلين أمام رغبات هؤلاء المبشرين[70].

---

(64) بكر بو زيد – المرجع السابق – ص47.

(65) F.O. 242/200, Consal Richards to Sir N. O'cnor, No. 23, 19-2-1990.

(66) Ibid.

أيضًا: مصطفى خالدى وزميله – مرجع سابق – ص79.

(67) مصطفى خالدى وزميله – المرجع السابق – ص113، أيضًا: خلف دبلان الوذينانى "الدولة العثمانية والغزو الفكرى حتى عام 1327هـ/ 1909م" ط2 – جامعة أم القرى – مكة – 1424هـ– 2003م – ص212–213.

(68) مصطفى خالدى وزميله – مرجع سابق – ص117.

(69) نفس المرجع – ص35.

(70) خلف الوذينانى – مرجع سابق – ص198.

وفى عام 1888م أغلقت الدولة العثمانية مدارس المبشرين الأمريكيين لأن هذه المدارس فتحت أبوابها بلا رخصة من الحكومة، ولكن المستر بسنغر قنصل أمريكا فى بيروت والمستر أسكار ستراوس[71] تدخلا فى الأمر حتى سمح الوالى على رضا باشا بأن تعود تلك المدارس إلى فتح أبوابها، على ألا تقبل إلا التلاميذ المسيحيين، ولكن الوزير والقنصل ظلا يسعيان حتى حملا الوالى على إلغاء هذا الشرط[72].

لقد كانت الدول الغربية تناجز الإمبراطورية العثمانية من وراء الستار، من وراء مبشريها المنتشرين فى البلاد[73]، فتنبهت الدولة العثمانية لهذا التحرك فأخذت تراقب المبشرين مراقبة دقيقة حتى تضيق عليهم الخناق فى بلاد الشام، وكانت الدولة تخشى من المبشرين البروتستانت لأن هؤلاء كانوا يتوارون خلف العلم البريطانى، ثم أيضًا من المبشرين اليسوعيين لأنهم يشتغلون لحساب السياسة الفرنسية، فأخذت تقاوم المبشرين فى جميع أرجاء الدولة العثمانية، ووقفت منهم موقفًا حازمًا[74].

على أن الحكومة العثمانية لم تستطع أن تتخذ سياسة علنية تجاه المبشرين ذلك أن هؤلاء كانوا يأتون فى الظاهر كرعايا إنجليز أو أمريكيين أو دانمركيين أو فرنسيين، فإذا استقروا فى البلاد أخذوا يقومون بالتبشير سرًا ما أمكنهم. ولذلك كان هؤلاء كلما وجدوا مراقبة وسهرًا من الدولة العثمانية لجأوا إلى قناصلهم، وكان القناصل يدافعون عنهم كرعايا أجانب فى الظاهر أيضًا[75].

فالدولة العثمانية لم تقف مكتوفة الأيدى أمام نشاطات المبشرين وجهودهم، ولكن ما حيلتها وقد دَبَّ الوهن فى قواها، وتطرق الخراب إليها وأمست على حافة الفناء والزوال[76].

لقد كبلت الامتيازات الأجنبية يَد المسؤولين العثمانيين عن فعل أى شيء تجاه

(71) هو وزير الولايات المتحدة المفوض فى تركيا، وكان يهوديًا.
(72) مصطفى خالدى وزميله – المرجع السابق – ص119.
(73) على الزهرانى – مرجع سابق – ج2 – ص321.
(74) مصطفى خالد وزميله – المرجع السابق – ص116.
(75) نفس المرجع – ص116.
(76) على الزهرانى – مرجع سابق – ج2 – ص 321.

الإرساليات التبشيرية ومدارسها.. يؤكد ذلك تلك الشكوى التى أوردها السلطان عبد الحميد (الذى حكم من 1876 إلى 1909م) حول خطورة انتشار المدارس التبشيرية فى دولته، وكيف أن الامتيازات قد كَفَّتْ يد المسؤولين فى الدولة عنها.. فيقول: إن تلك المدارس "تشكل خطرًا كبيرًا على بلادنا، وقد كان خطؤنا جسيمًا إذ سمحنا لكل دولة فى كل زمان ومكان بإنشاء المدارس التى يرغبونها، والآن نجنى ما زرعنا، سمحنا لهم بفتح هذه المدارس؛ فقاموا يعلمون الطلاب أفكارًا معادية لبلادنا. الحقيقة أن التصدى لهذه المدارس ليس بالأمر الهين!، إذ يظهر أمامنا قنصل دولة أو سفيرها فيحميها من أن تطالها أيدينا"[77]. وفى هذا الاعتراف خير برهان على مصادرة الإرادة السلطانية بسبب اعتراض قنصل، أو احتجاج سفير أجنبى يعمل فى الدولة العثمانية.

لقد كانت آثار تلك الامتيازات وخيمة جدًا على السلطنة فى آخر عهودها، لقد كانت سببًا فى تدخل الدول الأوروبية فى شؤون الدولة من خلال المبشرين، خصوصًا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[78]. ومجمل القول: إن الدولة لم تكن تملك حرية الإرادة، ولا حرية التصرف حيال نشاط الإرساليات، والذى كان له أوخم العواقب فى زيادة الاضطراب الطائفى والسياسى فى ولايات الشام[79].

والخلاصة: فإن هذه الامتيازات الأجنبية المختلفة جعلت الدولة العثمانية مستعمرة، ولكنها ليست مستعمرة لدولة واحدة، بل للدول القوية كافة، ولا أدل على ذلك من قول أحد الكتاب الفرنسيين "رينيه بينون" حين أعلن صراحة "لا توجد فى العالم بلاد كالدولة العثمانية يجد فيها الغرباء، ولا سيما الفرنسيون، حرية العمل، وثمرات الجد"[80]. فكانت تلك الامتيازات وبالاً على الدولة من ناحية. ويكفى أنها جعلت الشعب العثمانى غريبًا فى وطنه، بينما أصبح الغرباء فيه يمشون تيهًا واختيالاً، لا يطالهم القانون بل هم يحمون من يشاؤون من القانون[81].

---

(77) السلطان عبد الحميد الثانى "مذكراتى السياسية" ط (بلا) – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1977م – ص187.

(78) محمد فريد بك – المصدر السابق – 230.

(79) عبد العزيز الشناوى – مرجع سابق – ج1 – ص106.

(80) محمد جميل – مرجع سابق – ص96.

(81) المرجع نفسه.

خاتمة البحث

كما لاحظنا فإن قارئ تاريخ الدولة العثمانية لا يجد مبررات معقولة تدفع السلطنة لأن تمنح الدول الأوروبية كل هذه الامتيازات دون أن تطالب بمثلها، وقد مَرَّ معنا تعليق الشيخ محمد رشيد الذى يستنكر فيه منح هذه الامتيازات لدول أوروبا.

لقد تَبَيَّنَ معنا من خلال السير فى هذا البحث أن الامتيازات أكسبت الدول الأجنبية وصية على المسيحيين من كاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس، حتى إن القنصليات الأجنبية جعلت من المسيحيين العثمانيين مواطنين متميزين عن الآخرين، ويتمتعون بحق الوصاية الأوروبية، هذا إلى جانب مكاسب المدارس التبشيرية والإرساليات التى وضعت بين أيديهم سبل ترقى تربوى ورفاهية لا يحلم بها المسلم فى دولته نفسها. لقد تحول ولاء المواطنين المسيحيين - مع مرور الوقت - بسبب ذلك من السلطان إلى أوروبا، ذلك أن الامتيازات قد شملتهم فأصبحوا يعاملون معاملة خاصة فى مجالى القضاء والاقتصاد.

إن اقتناع الدول الأوروبية بكون الامتيازات الأجنبية حقًا من حقوقها الطبيعية هو الذى جعلهم يتصرفون فى البلاد العثمانية وكأنهم دولة داخل الدولة العثمانية. إلى جانب أن الدولة وبسبب تقييدها بنظام الامتيازات الأجنبية قد دفع ذلك السفراء الأجانب لأن يكونوا وكأنهم شركاء للدولة فى قراراتها السياسية وغيرها.

مصادر ومراجع البحث

أولا: الوثائق

F.O: 424/198- Sir N. O. Conor to M. Salishburg, No, 76,26-4-1899.

F.O. 242/200, Consal Richards to Sir N. O'cnor, No. 23, 19-2-1990

ثانيا: المصادر العربية

(أ) المذكرات:

1- بلاد الشام فى القرن التاسع عشر (من مذكرات الحسيبى الدمشقي) - تحقيق سهيل زكار - ط1 - دار حسان - دمشق -1402هـ 1982م.

2- السلطان عبد الحميد الثانى "مذكراتى السياسية" ط (بلا) - مؤسسة الرسالة - بيروت - 1977م.

(ب) الكتب:

1- الفيكونت فيليب دى طرازى "تاريخ الصحافة العربية" ج2 - ط(بلا) - المطبعة الأدبية - بيروت - 1913م.

2- جورجى زيدان "تاريخ آداب اللغة العربية" ج4 - ط (بلا) - مكتبة الحياة - بيروت - 1992 م.

3-جورجى زيدان "تراجم مشاهير المشرق فى القرن التاسع عشر"ج2 - ط (بلا) - دار مكتبة الحياة - بيروت - تاريخ النشر (بلا) .

4- كامل البالى الحلبى الغزى "نهر الذهب فى تاريخ حلب" ج2 - تحقيق: شوقى شعث ومحمود فاخورى ط2 - دار القلم العربى - حلب - 1412هـ 1991م.

5- محمد فريد بك "تاريخ الدولة العلية العثمانية" - تحقيق إحسان حقى - دار النفائس - بيروت - ط 1988م.

6- محمد كرد على "خطط الشام" ج4 - ط3 - نشر مكتبة النورى - دمشق - 1403هـ-1983م .

المراجع العربية:

1- أحمد عبد الرحيم مصطفى "فى أصول التاريخ العثماني" ط 1 - دار الشروق - بيروت - 1402 هـ-1982م.

2- الأمير شكيب أرسلان "تاريخ الدولة العثمانية" جمع وإعداد حسن السماحي- ط 1 - دار ابن كثير - بيروت - ط 1 - 1422هـ 2001م.

3- "المعجم الوجيز" - ط (بلا) - مجمع اللغة العربية - القاهرة - 1411هـ-1990م .

4- "الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" ج2 - ط2 - دار الندوة العالمية - الرياض - 1418هـ.

5- بكر عبد الله أبو زيد "المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها" ط1 - دار العاصمة - الرياض - 1421هـ-2000م.

6- ساطع الحصرى "البلاد العربية والدولة العثمانية"- ط3 - دار العلم للملايين - بيروت - 1965م.

7- زكريا سليمان بيومى "قراءة جديدة فى تاريخ العثمانيين - التحالف الصليبى الماسونى وضرب الاتجاه الإسلامي" - ط1 - عالم المعرفة - جدة- 1411هـ-1991م.

8 - عبد العزيز الشناوى "الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها" ج2- ط (بلا) - مكتبة الإنجلو المصرية - القاهرة -2004م-.

9 - عبد الله التل "جذور البلاء" ط 2 - بيروت - المكتب الإسلامى - 1390 هـ 1975 م.

10 - على حسون "تاريخ الدولة العثمانية" المكتب الإسلامي- ط (بلا) بيروت -1403هـ - 1983م.

11 - قيس جواد العزاوى "الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط" -ط1 - الدار العربية للعلوم - بيروت 1414هـ-1994م.

12 - محمد ترحينى "الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي" - ط1 - دار الآفاق - بيروت - 1981م.

13 - محمد جميل بيهم "فلسفة التاريخ العثماني" - ط3 - فرج الله للمطبوعات - بيروت -1373 -1954م.

14 - مصطفى خالدى وعمر فروخ "التبشير والاستعمار فى البلاد العربية " ط (بلا) - المكتبة العصرية - بيروت - ط 1995م.

15 – هشام شرابى "المثقفون العرب والغرب. عصر النهضة 1875–1914م" ط2 – دار النهار – بيروت – 1978م .

الكتب المعربة:

1– أ. ل. شاتليه "الغارة على العالم الإسلامي" – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى – ط 4 – الدار العربية للنشر والتوزيع – جدة – 1405هـ 1985م.

2– بيير رونوفن "التوسع الأوروبى فى العالم أشكاله وطرقه 1869–1914م" تعريب: نور الدين حاطوم – ط1 – دار الفكر – دمشق 1997م.

3– ثريا شاهين "دور الكنيسة فى هدم الدولة العثمانية"– ترجمة: محمد حرب – ط (بلا) – دار المنارة – جدة – 1418–1997م.

4– جورج أنطونيوس "يقظة العرب" ترجمة إحسان عباس وناصر الدين الأسد – ط8 – دار العلم للملايين – بيروت – 1987م .

5– كنغليك "رحلة كنغليك إلى الشرق" ترجمة محمود العابدى – ط (بلا) –نشر جمعية أعمال المطابع التعاونية – عمّان –1971م.

6– هاملتون جب وزميله "المجتمع الإسلامى والغرب" ج2 – ترجمة: عبد المجيد القيسى – ط 1 – دار المدى – دمشق – 1997م.

الرسائل العلمية:

1 – خلف دبلان الوذينانى "الدولة العثمانية والغزو الفكرى حتى عام 1327هـ/ 1909م" ط2 – جامعة أم القرى – مكة – 1424هـ–2003م. (رسالة دكتوراه) جامعة أم القرى – مكة، السعودية.

2 – سعيد سفر الغامدى "موقف المعارضة فى المشرق العربى من حكم السلطان عبد الحميد الثانى (الشام ومصر)"– ط1 – مكتبة التوبة – الرياض – 1413هـ 1992م.(رسالة ماجستير) مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود، القصيم.

3 – سلوى الغالبى "العلاقات العثمانية الأمريكية 1830–1918م" ط1 – مكتبة مدبولى – القاهرة – 2002م. (رسالة دكتوراه) جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

4 – شوقى أبو خليل "بندلى الجوزى فى الميزان، عصره، حياته، آثاره" ط1 – دار الفكر – دمشق – 1413هـ–1993م. (رسالة دكتوراه) أكاديمية العلوم، أذربيجان.

5 – عبد العزيز محمد عوض "الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا 1864–1914م" دار المعارف – مصر – ط 1969م. (رسالة ماجستير) مقدمة لجامعة عين شمس، مصر.

6 - على بخيت الزهرانى: "الانحرافات العقدية والعلمية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أثارهما فى حياة الأمة" الجزء الثانى - ط2 - نشر دار طيبة - الرياض -1998م. (رسالة ماجستير) مقدمة لجامعة أم القرى - مكة المكرمة.

7 - محمد الهادى المطوى "أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه فى النهضة العربية الحديثة" ج1 - ط (بلا) - دار الغرب الإسلامى - بيروت - 1989م. (رسالة دكتوراه) الجامعة التونسية، تونس.

الدوريات:

1- رشيد رضا: "امتيازات الأجانب فى الدولة العثمانية كانت اختيارية" - المنار - عدد 42 - مجلد 1 - القاهرة.

2- يوسف على الثقفى "معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية لعام 941هـ - 1535م": مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - عدد6 - سنة6 - 1403هـ.

المراجع الأجنبية:

1- Hurewitz, J.C: "Diplomacy In The Near and Middle East". Documentary Records (1535-1914) vol.1. (U.S.A.).

2- Parry. V. J: "A History of thee Ottoman Empire". Cambridge University Press, Cambridge. London.

3- Robert Mantran, "Histoire de la Turquire". (Paris: Puf. (1975).

* * *